أبو الحسن علي الحسني الندوي
الأمين العام لندوة العلماء
لكهنؤ (الهند)

قارنوا بين الربح والخسارة
يا زعماء العرب!

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامي العلمي
بندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

أبو الحسن علي الحسني الندوي
الأمين العام لندوة العلماء
لكهنؤ (الهنـــد)

قارنوا بين الربح و الخسارة

يا زعماء العرب

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامي العلمي
بندوة العلماء لكهنؤ (الهنـــد)

www.abulhasanalinadwi.org

« محاضرة ألقاها سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في نادي الوحدة الرياضي بمكة المكرمة في الاثنين الأول من شعبان ١٣٨٧هـ ، و قد حضر الحفلة عدد كبير من أعيان البلد ، و الأدباء والصحفيين وأساتذة الكليات و رجال المعارف و الشباب المثقف .

و نص هذه المحاضرة نقل من المسجل . و نحن ننشره بناءاً على الحقائق التي جاءت في هذه المحاضرة ، و الصراحة التي اتسمت بها ، ونحن في أشد الحاجة إلى هذه الصراحة في هذه المرحلة الدقيقة التي تجتازها الأمة العربية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى ! أما بعد

سادتي و إخواني ! يسرني و يسعدني أن أتحدث في نادي الوحدة الرياضي ، لأن الرياضة سواء كانت رياضة بدنية أو رياضة فنية تقوم على الاعتراف بالواقع و تقرير الحقائق ، و تحكيم العقل والمنطق ، و التجربة و الاختبار ، إنها تعتمد على واقع الحياة ، و الحقائق الراهنة ، و على التجارب المتواصلة أكثر مما تعتمد على المعاني الشعرية و الأخيلة البديعة ، و الاسترسال في الأوهام والأحلام .

و أعتقد أن الايمان بالله ، و أن الدين الحق يلتقيان مع الفكرة الرياضية ، و بالأصح مع النفسية الرياضية أكثر مما يلتقيان مع الخيال و الشعر ، و الخطابيات و التخيلات ، إنما يلتقيان على الجد و الصرامة ، و على الحيوية و الواقعية ، و نحن المسلمين اليوم بصفة عامة و العرب بصفة خاصة في حاجه ملحة إلى هذه الطبيعة الرياضية .

www.abulhasanalinadwi.org

إننا نزعم أننا مسلمون فلنكن مسلمين حقيقين ، مسلمين فى الحقيقة لا فى الصورة ، إن قضية الذين يؤمنون بالدين الحق - أيها السادة - تختلف عن قضية الذين لا يؤمنون بهذا الدين اختلافاً كبيراً ، إن الذين يؤمنون بالدين الحق يجب عليهم أن يخلصوا لهذا الدين ، و أن يتمكسوا بلباب هـذا الدين و بحقيقته ، و بمقدار ما يتمكسون به و يخلصون له و يجدون فى سبيله يستحقون النتائج التى وعد بها الله الذى اختار هذا الدين ، والنصر الذى تكفل به ، نقرأ فى القرآن أن الله تبارك و تعالى قد طلب من اليهود أن يكونوا متمسكين بدينهم ، مخلصين فى دينهم صادقين ، آخذين باللباب غير القشور ، و بالحقيقة لا بالصورة و الاسم ، و جعل تمسكهم بالدين المقياس الحقيق و الميزان العدل فقال « قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة و الانجيل و ما أنزل إليكم من ربكم » (١) و قال « و لو أنهم أقاموا التوراة و الانجيل وماأنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم (٢)

(١) سورة المائدة : ٦٩

(٢) سورة المائدة : ٦٧

وقد عاقبهم على انحرافهم عن دينهم الذى اختاره لهم ، و الذى احتضنوه و زعموه ، عقوبة شديدة فقال « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم و ذلة فى الحياة الدنيا و كذلك نجزى المفترين » (١)

فنحن المسلمين و نحن العرب بصفة خاصة ، إذا انحرفنا عن هذا الدين أو تمسكنا به صوريا و اسميا فقط لا حقيقياً لم نستحق نصر الله ، ولم نستحق ما وعد الله به من الشرف ، فمصير الأجيال التى تدين بدين ، مرتبط بهذا الدين ، تتشرف هذه الأجيال و تنتصر فى المعركة بمقدار ماتتمسك بهذا الدين ، إن وضعنا - أيها السادة ، أيها الاخوة الكرام - كما قلت يختلف عن وضع الأمم التى لا تدين بهذا الدين .

إننا لما قبلنا هذا الدين و التزمناه وأعلنا أننا مسلمون وجب أن نكون مسلمين . و أن ندخل فى السلم كافة ، و أن نعطى القياد للاسلام ، و أن نحقق فينا صفات المسلمين و أخلاقهم ، وجب أن نكون مسلمين فى الحقيقة ، فى اللباب ، فى الروح ، و إن

(١) سورة الاعراف : ١٥٢

www.abulhasanalinadwi.org

معاملة الله تبارك و تعالى على الحقيقة لا على الصورة ، كما نجرب كل يوم ، إن صورة أى دين حق ، إن صورة أى معنى من المعانى ، و أى حقيقة من الحقائق لا تغنى ، لقد قال الله تبارك و تعالى : و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » (١)

فوضعنا الحاضر أننا ندعى هذا الدين ، أننا ندعى أننا مسلمون ، و نطلب من الله أن يعاملنا كمسلمين ، و أن تتحقق تلك الوعود و تلك النتائج التى قرأنا أمثلتها الرائعة فى التاريخ ، ولكننا ننسى أو نتناسى أن هذه النتائج كانت - و لا تزال - تابعة للأسباب الطبيعية ، تابعة للقدمات الصحيحة . فالماء ماء يروى ويشفى و الطعام غذاء يشبع و يغذى ، و الدواء دواء ينجع و يبرىء إذا كان على حقيقته ، فالماء لا يروى إذا لم يكن ماء ، وكان صورة للماء ، أو سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، و النار إذا كانت صورة مجردة مهما كانت هذه الصورة دقيقة و صادقة ، فاننا لا نستطيع

(١) سورة المنافقون : ٥

أن نستدفئ بها ، و أن نكتسب منها الحرارة أو النور ، و هذه طبيعة الأشياء و نظام الكون الذى يتحكم فى هذا العالم .

إن كل ذنبنا و خطئنا أننا طلبنا من الصور ما لا تعطيه إلا الحقائق ، فكل هزائمنا و كل نكباتنا راجعة إلى أننا توقعنا من الصور ، توقعنا من الأسماء ، توقعنا من المظاهر ، توقعنا من الدعاوى ، توقعنا من الكلمات . تلك النتائج الحية الضخمة الحقيقية التى كانت - و لا تزال - منوطة بالحقائق ، إننا برزنا إلى الميدان كمسلمين بالاسم ، كمتظاهرين بالاسلام ، كمتشبعين من غير شبع ، فلما وقع النضال بين الحقيقة والصورة خذلتنا الصورة فى الميدان ، وأفتضحنا أمام الناس ، أمام العالم ، إننا إذا برزنا إلى الميدان كمسلمين حقيقيين ، ولو كنا فى قلة لتكررت قصة تلك الحوادث التى نقرؤها فى التاريخ ، و لتكررت تلك المعجزات التى كاد العالم يقطع الرجاء منها .

إن الحقيقة حقيقة منذ آلاف من السنين . لم تتغير ولم تتبدل ، إذا كانت حقيقة الأدوية لم تتغير و لم تتبدل كما نجرب كل يوم ، إذا كانت حقيقة النار هذه التى تخضع لنا ، و التى نلهبها ونطفئها ،

www.abulhasanalinadwi.org

إذا كانت حقيقة النار لا تزال منذ آلاف من السنين كما كانت فى عهد آبائنا و أجدادنا وقبل آبائنا وأجدادنا كما يقص علينا التاريخ ، و كما تشهد بذلك الحفريات و الآثار ، و إذا كانت حقيقة البحار هى حقيقة البحار ، و إذا كانت حقيقة الغذاء و الماء لم تتغير مع الزمن . فلماذا نعتقد أن الايمان وحده قد فقد حقيقته ، لقد كان الايمان يتغلب على هذه الحقائق كلها ، لقد كانت النار تفقد خاصيتها ، و تفقد حقيقتها و طبيعتها أمام هذا الايمان . إذا كان الايمان أكثر التهابا ، و إذا كان أكثر قوة ، و إذا كان أكثر حقيقة من هذه النار ، فقد أصبحت برداً و سلاماً على إبراهيم ، و لماذا لا تخضع ولا تتكس هذه النار التى خلقها الله لمصالح العباد ، التى خلقها ليقضى الناس بها مآربهم ، التافهة أحيانا ، و السطحية أحيانا . فلماذا لا تخضع هذه النار و لا تنهزم أمام الايمان ، الذى خلق لمصلحة الانسانية الكبرى ، لمصلحة الانسانية الخالدة ، فلتخضع النار أمام هذا الايمان ، و لتخضع البحار أمام هذا الايمان ، ولتخضع الجبال أمام هذا الايمان ، ولتتغير هذه القوانين الطبعية التى جربها الناس من آلاف من السنين أمام هذا الايمان

الجديد ، الايمان الفتى ، الايمان الدافق بالحياة .

تذكرون وقعة المدائن لما بلغ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بجيشه إلى دجلة و هى تفيض و ترمى بالزبد وقف هنيهة . وقف وقفة تأمل و وقفة استعراض ، و قال لسلمان ماذا ترى ، هل نخوض هذا النهر أو ننتظر السفن ؟ فقال سلمان رضى الله عنه : إن هذا الدين لجديد » يعنى أن الله اختار هذا الدين ، و قرر أنه سيظهره على الأديان كلها ، و أنه يحيى به الانسانية التى ماتت . فأنا لا أصدق أن هذا الدين سينهزم و يتراجع أمام نهر من الأنهار ، و لماذا لا يخضع هذا النهر أمام هذا الدين ؟ لماذا يخضع هذا الدين أمام هذا النهر ؟ هذه العقلية المؤمنة هى التى كانت تسيطر على نفوس المسلمين ، ثم قال له سلمان و لكن أنظر فى الجيش هل ظهرت فيه ذنوب و انتشرت ؟ فاذا رأيت أن هذا الجيش بعيد عن هذه الذنوب فصدق أن الله سبحانه و تعالى ناصره ، و أنه سيتغلب على هذه الحقيقة الضعيفة ، وكذلك كان ، تقرؤون فى التاريخ أن جيش المسلمين قد خاض النهر ، و كان المسلمون يتحدث بعضهم إلى بعض و يمازح بعضهم بعضاً ، كأنما

www.abulhasanalinadwi.org

يمشون على البر . فلما رأهم الفرس قالوا كما نقله الطبرى بالنص (ديواں آمدند ، ديواں آمدند) يعنى جاء الجن ، جاء العفاريت .

إن هذا الايمان هو الايمان . و أنه لا يزال يحمل تلك القوة التى تقهر القوى الطبعية ، وتتغلب على فلسفة القلة والكثرة ، و الضعف و القوة . التى آمن بها الضعفاء و المقلدون ، ولكننا قد أفلسنا فى هذه القوة و اعتمدنا على ما يشترك فيه المسلم و الكافر ، و المصلح و المفسد ، و المطيع و العاصى ، و قد يتفوق فيه الكافر على المؤمن ، إن فضل البندوقيه أيها الاخوان هو الرصاص ، فاذا فقدت البندوقية الرصاص كانت أضعف من الخشب ، إن الخشب هو أنفع وأجدى من البندوقية الفارغة التى ليست فيها رصاصة ، لأن الخشب يستعمل بأساليب متنوعة ، وبطرق كثيرة ، ولكن البندوقية لا تستعمل إلا بطريقة واحدة ، إن قوتها تتوقف على رصاصتها ، فاذا فقدت الرصاصة فقد كل شئ ، فالمؤمن إذا فقد الايمان ، إذا فقد الاعتماد على الله ، إذا تجرد عن الصفات التى أكرمه الله بها ، و اختص بها من بين سائر الأمم ، أصبح كسائر الناس ، وأذل و أضعف منهم أحيانا ، إن النار نار إذا كانت فيها حرارة ،

فاذا فقدت هذه الحرارة فليست لها قيمة ، إن الملح ملح إذا كانت فيه ملوحة ، فاذا فقد الملح الملوحة ، أصبح الحصى وأصبح الخزف أثمن منه ، يغنى عن أشياء و يفيد فى مجالات كثيرة ، و فى أعمال كثيرة ، و لكن الملح لا ينفع إلا إذا كانت فيه الملوحة .

إن المسلمين كانوا أقوياء بايمانهم ، أقوياء بهذا الدين الذى كانوا يؤمنون به ، أقوياء بأنهم كانوا يؤمنون بحقائق يكفر بها أولا يعرفها الآخرون ، فكانوا ينظرون إلى عالم لا شأن لغيرهم به ، و هو الذى أشار إليه تبارك و تعالى بقوله « و لا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، و ترجون من الله ما لا يرجون و كان الله عليماً حكيماً » (١) فاذا أصبح المسلم لا يرجو من الله شيئاً فانه قد أصبح فى مستوى هؤلاء الماديين ، بل أخفض مستوى من هؤلاء الذين لهم آمال طويلة عريضة فى الدنيا .

نحن المسلمون نحن العرب أيها الاخوان ، برزنا إلى الميدان

(١) سورة النساء : ١٠٥

www.abulhasanalinadwi.org

بهـذه الحياة المهلهلة السخيفة الناعمة الرقيقة ، المريضة العليلة ، الضعيفة الهزيلة ، الموبوءة الثقيلة ، التى يشترك فيها غيرنا بل يمتازون عنا بأن عندهم من الصرامة و الجد ، و من التزم و قوة الارادة و من الاستماتة فى سبيل المبدء ، و الثبات على العقيدة ، و من التجرد لمقاصدهم ما لايوجد عندنا فى بعض الأحيان ، فلماذا ننتصر عليهم ـ ؟ و لماذا نشكو ؟ و لماذا نعتب ؟ و لماذا تساور نفوسنا و عقولنا هذه الظنون و هذه الريب التى تساورنا جميعاً ؟ بماذا نمتاز عنهم ؟ الحق أن أعداءنا متفوقون علينا ، كما قلت ، بالصرامة و الجد و بالاستعداد و إعداد القوة ، و بالانسجام و الاتحاد ، و إن المسلمين كانوا ينتصرون على المنافسين ، على الأمم المعاصرة بايمانهم ، بأخلاقهم ، بزهادتهم فى الدنيا ، باستهانتهم بالزخارف و المظاهر ، بحنينهم إلى الشهادة ، و تطلعهم إلى عالم الغيب ، و بايثارهم الموت فى سبيل الله على الحياة فى اللذات و الشهوات . لقد كانت الجيوش تقاتل للامراء ، كانت تساق إلى ساحة الحرب سوقاً ، و تحشر إلى ميدان القتال حشراً ، وكانت الحروب تفرض عليها فرضاً ، و هى راغمة مكرهة ، تلعن هذه الحكومات

المغتصبة الظالمة ، و كانت تقاتل رغم أنفها ، و رغما عن نفسها ، و كان المسلمون إنما يقاتلون ليكرموا بالشهادة ، و لينالوا ثواب الدنيا والآخرة ، وفرق بين الذى يطلب الحياة ويكره الموت و يبحث عن سبيل النجاة ، وبين الذى يبحث عن الموت أينما وجد ، يبحث عنه فى مظانه و غير مظانه .

السبيل الوحيد للنصر أيها الاخوان ! أن نكون مسلمين حقيقيين ، وأن نحمل تلك الجذوة الايمانية التى كانت تلهب نفوسنا ، و كانت جديرة بأن تحرق الدنيا كلها ، إذا عادت هذه الجذوة ، جذوة الايمان و شعلة الحياة أعاد التاريخ نفسه .

إننا لما أخلصنا للاسلام فى الماضى ، ولما اندمجنا فى الاسلام ، و تجردنا عن كل شعار من شعائر الجاهلية ، و حملنا مشعل الاسلام فى أيدينا ، أصبحنا سادة العالم ، كنا نسيطر على أكبر رقعة من رقاع العالم المتمدن المعمور ، وانتشرت عقيدتنا وحضارتنا ، و آدابنا و أخلاقنا ، و علومنا و لغتنا ، كما ينتشر ضوء النهار ، و كانت لغتنا تنتشر فى العالم بالسرعة التى لم تعرف لأى لغة ، تنتشر من غير سلطة سياسية ، و من غير استعمار ، لقد أصبحت

www.abulhasanalinadwi.org

هذه اللغة العربية ، لغة العلم ، لغة الثقافة و لغة التأليف و تغلغت فى أحشاء العالم الاسلامى ، و كان المسلمون فى كل بقاع الأرض يتنافسون فى تعلمها ، وفى التضلع منها ، كانوا عجما بالثقافة وبالوراثة و باللغة ، و بالنشأة ، و لكنهم كانوا يؤثرون هذه اللغة للكتابة و التفكير والفلسفة والعلم . إنكم تعرفون أولئك النوابغ الذين نهضوا فى العالم الاسلامى فى القرون المختلفة ، هذا أبو على الفارسى ، و هذا جار الله الزمخشرى ، و هذا مجد الدين الفيروز آبادى ، وهذا السيد المرتضى الزبيدى الهندى ، كلهم كانوا عجما . من أجبرهم على تعلم هذه اللغة - ؟ إن أبا حامد الغزالى كان يؤلف كتابه الأثير الحبيب باللغة العربية ، و يؤثر اللغة العربية للتأليف ، ثم يترجم وينقل هذا الكتاب إلى لغة أمه وبلاده ، كما فعل فى « إحياء العلوم » « و كيميائى سعادت » مع أنه فارسى من « طوس » و هكذا كان أولئك النوابغ الذين لا يحصيهم إلا الله .

إنى لا أذكر لكم العلوم الدينية لأن الدوافع الدينية كانت قوية دائماً ، ولعلكم تعلمون بأن هناك دافعاً دينياً ، ولكنى أضرب لكم مثلا باللغة العربية و آدابها ، ما الذى فرض هذه اللغة على

الأجيال كلها التى كانت لا تتصل بهذه اللغة بنسب ، و لا بنشأة ، و لا سياسة ، و لا بادارة ؟ و لم تزل اللغة العربية هى لغة العلم و لغة التأليف فى بلاد عريقة فى العجمة ، فى بلاد توارثت لغتها و احتضنتها ، و لا تزال تعتز بها ، و هى لغات غنية خصبة ، فيها ثروة علمية هائلة ، و مع ذلك كله ، لاتزال اللغة العربية هى اللغة الحبيبة المفضلة فى بلادنا الهند وباكستان .

إنى أذكر لكم أيها الاخوان على سبيل المثال . أنى كنت ١٩٦٠م فى « كيرالا » بالمنطقة الجنوبية فى الهند ، و هى بلاد عريقة فى الحضارة الهندية ، و قد كنت مضطراً فى بعض الأحيان للتفاهم مع إخوانى المسلمين هنا باللغة العربية ، فما الذى نشر هذه اللغة العربية فى هذه البلاد البعيدة ؟ و ما الذى جعلها تسيطر فى بعض الأحيان على اللغات المحلية ؟ هى العاطفة الدينية ، هى الروح الدينية ، التى تغلغلت فى الأحشاء ، هى رابطتها بالقرآن ، وصلتها بالسنة و رابطتها بالاسلام ، إذا انقطعت هذه الرابطة - لا سمح الله بذلك - كما يريد كثير من القوميين ، فلا صلة لنا - نحن العجم - بهذه اللغة ، على غناها و على ثروتها ، و على جمالها

www.abulhasanalinadwi.org

و عبقريتها ، إن الشئ الوحيد الذى يربط هذه الشعوب كلها على اختلاف ألسنتها و ثقافاتها . و أوطانها و بلدانها ، باللغة العربية هى الرابطة الدينية الروحيـة ، هى التى تجعل المسلمين فى بلاد العجم يغارون على هذه اللغة أكثر مما يغارون على لغتهم ، التى يتفاهمون بها . و قد يحرصون على تعلمها أكثر مما يحرصون على تعلم اللغات الغربية .

جربوا أيها القوميون . و جردوا العروبة ، و جردوا اللغـة العربية من الرابطة الروحية الدينية ، التى تربط الشعوب و الأمم بهذه اللغة و بهذه البلاد ، ثم انظروا ماذا تفقدون وماذا تجدون ؟ ما هى نسبة ربحكم من خسارتكم ، و ما هى نسبة إفلاسكم من كسبكم ؟ ستعيشون فى عزلة عن العالم . إن هـذا العالم الاسلامى الفسيح الذى لا يزال من ورائكم و لا يؤيدكم فى جميع قضاياكم . و الذى ينتظر أن تسمحوا له بالخوض فى هذه المعركة ، إن هذا العالم تنقطع صلته عنكم . و تعيشون فى عزلة ، خذوا القلم ، و خذوا أكبر صفحة من ورق ، و اكتبوا فيها هذه النقطة التى كانت عليها العرب قبل الاسلام ، ثم مدوا هـذه النقطة بفصل

اللغـة العربية ، و فضل النسب العربى ، و فضل الثقافة العربيـة ، و فضل الخصائص العربية ، و فضل كل ما تستطيعون أن تفرضوه . ثم انظروا إلى أين تمتد هذه النقطة ؟ الاسلام هو الذى مد هذه النقطة و عرضها و طولها و وسعها ، إلى أن وصلت إلى أقاصى العالم المتمدن المعروف .

إن هذه الروح الاسلامية لما فقدناها ، و قلنا إنها عتيقة ، إنها باليـة ، إنها « رجعية » و رجعنا إلى هذه القوميات ، فماذا وجدنا عوضاً عما فقدنا ؟ ما هو الشئ الوحيد الذى اكتسبناه ؟ إن العالم كله بما فيه من سياسة و إدارة ، و تجارة و تبادل ، وحرب وصلح ، يقوم على الموازنة بين الربح والخسارة ، والانفاق و الاكتساب ، و الوارد والصادر ، إن التاجر الصغير يوازن بين الدخل والصرف ، و إذا تعطلت الموازنة تعطل نظام المدنية وأصبح الأمر فوضى ، فلماذا لا نقارن نحن العرب ، بين ما ربحناه بالقومية ، و الاشتراكية ، و التقدمية ، و بين ما خسرناه باقصائنا للعنصر الدينى . و تجردنا عن الروح الدينيـة ، و شننا الغارة على ما نسميه « الرجعية » .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كنا نسمع أن « الانسان العربى المارد العملاق » سيخرج من القمقم ، و سيدهش العالم ، و سيشغل سمع الزمان وبصره ، و بحثنا عن هذا « المارد العملاق » فى كل مكان فما وجدنا له عيناً ولاأثراً ، بل الذى وقع أن القزم اليهودى ، هذا الانسان التافه ، الانسان الأفاق ، هذا الانسان الذليل ، الذى كان مضرب المثل فى الجبن و النذالة ، تسلط على هذا « المارد العملاق » لما فقد العاطفة الدينية ، و فقد تلك الأسلحة (المعنوية) التى كان يتسلح بها . لقد وقع ما لم يكن يتوقع فى المنام قبل أيام ، لقد لحق بنا العار الذى لا يغسله ماء سبعة أبحر ، و التصق بكل مسلم ، و بكل عربى فى كل بقعة من بقاع الأرض ، ماذا استفدنا من هذه القيادات اللادينية التقدمية ـ ؟ ماذا استفدنا من هذه القومية و الاشتراكية ؟ .

إن هذه الحياة كلها قائمة على التجربة . إذا أصبحنا لانستفيد من التجارب و لا نتلقى منها درساً ، و لا نصحح بها خطأ ، و اعتمدنا على الأخيلة و الدعاوى . فقد تعرضنا لخطر عظيم ، قد يؤدى بحياتنا ، وفقدنا هذه الثروة الهائلة التى اكتسبناها عبر القرون

والأجيال ، التى هى تراث المدنية ، وتراث الانسانية ، إذا أصبحت الانسانية لاتعتمد على التجارب إذاً نفقد الثقة بمستقبل الانسان . فاذا أصبح الانسان لا يؤمن بتجاربه . و لا يزال يسترسل إلى الأوهام و الخيالات ، ولا يزال يعيش فى البرج العاجى ، فلامعقل للانسانية .

إن العلوم الرياضية كما قلت تقوم على التجارب ، إنها تقوم على الاستقراء ، و قد نهضت المدنية نهضتها لما اعتمدت على الاستقراء بدل القياس . فاذا وجدنا لما ثرنا على الاسلام أو على الأقل لما تنكرنا للاسلام ، و لما أنكرنا فضل الاسلام فى تكوين مجتمعنا ، و لما أبينا أن نلتجئ إلى الاسلام ، إن هذه السنين تكفى للتجربة .

لقد اجتمع فى الشعوب العربية الشقيقة العزيزة من الثروات و الخيرات ، و من وسائل الحياة ، و من وسائل المقاومة ، ومن وسائل النشر و الدعاية ، ما لم تتهيأ لشعوب كثيرة ، لقد كان كل شئ مهيأ لتحقيق النصر ، فاذا كان ينقص هذه الشعوب ، إنما كان ينقصها الاخلاص للاسلام ، إنما كانت تنقصها الشجاعة

www.abulhasanalinadwi.org

التى لا يخلقها إلا الايمان والعقيدة ، كان كثير من القادة يتحرجون و يتضايقون بالتصريح بالاسلام ، لقد كان ثقيلا عليهم أن يقولوا نحن مسلمون ، و نحن نعتمد على الله ، و نعتمد على الايمان و نعتز بالاسلام ، فاذا كانت النتيجة ، هل ننتظر نتيجة أشنع منها وأبشع . لقد وصلنا إلى الدرك الأسفل ، إلى درك مابعده درك . كيف يجوز لنا بعد الآن أن نتنكر للاسلام وأن نلتجئ إلى هذه الأصنام ، التى نحتناها بأيدينا ، و لا نزال ننحتها و نجملها . و لا نزال ندخل عليها تحسينات (أتعبدون ما تنحتون) (١) لقد عكفنا على هذه الأصنام نعبدها ، ورفضنا عبادة الله تبارك و تعالى ، واستنكفنا من الانتساب إلى الاسلام وحده . فأين ذلك « المارد العملاق » الذى بشرنا به .

لقد كان الصحابة رضى الله عنهم أولئك النحاف الضعاف ، الفقراء الأميون ، هؤلاء الذين كانوا لا يقام لهم وزن . كانت تزدريهم الأعين ، ثيابهم مرقعة . و نعالهم مخصوفة ، و أجفانهم بالية . ماذا صنعوا من الأعاجيب ، وكيف اكتسحوا العالم من أقصاه

(١) سورة الصافات : ٩٥

إلى أقصاه . وفتحوا نصف المعمورة فى نصف قرن ، وكيف أقاموا دولة ، و شيدوا حضارة ، و أخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، و من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .

إننا إذا تمردنا على هذه الحقائق ، و إذا طمسنا على هذه التجارب ، فاننا نسيئ إلى كرامة الانسانية ، و ننحط إلى مستوى أقل من مستوى الحيوانات ، إن الحيوانات تعتمد على التجارب ، إن الحيوان إذا جرب شيئاً فانه لا يعود إليه فى الغالب ، فالنا نعود إلى ما جربناه مراراً وتكراراً ، إن الحيوان إذا آذاه إنسان أو أهانه يصبح له عدواً ، إنه يحمل له حقداً ، إنه يبتعد عنه ، و لكننا نحن مستعدون أن ننخدع بمن خدعنا ، و نلدغ من جحر مرتين بل مراراً .

إن الذين جروا علينا هذه الكارثة لا يزالون يسيطرون على عقول كثير منا ؛ و لا نزال نخضع لهم بالاجلال والاكبار ، لو كانت عندنا بقية من حياء ، بقية من غيرة ، بقية من انسانية ، لحاكمناهم محاكمة المجرمين ، القاتلين الذين يقتلون الأمم ، ويدوسون

www.abulhasanalinadwi.org

كرامة البلاد ، إنهم جنوا على شخصيتنا . جنوا على شرفنا . جنوا على تاريخنا ، و أكبر جنـاية جنوها علينا على مر التاريخ أنهم جنوا على تاريخنا ، لقد كان تاريخ الاسلام رصيدنا نلتجئ إليه ، و نستمد منه فى كل حين ، كان من أقوى الوسائل لاثارة الشعور الاسلامى ، و لالهاب الجذوة الايمانية فى الصدور ، لقد كان هذا التاريخ الاسلامى العربى ، تاريخ الفتوح الاسلامية ؛ سادنا فى خطاباتنا و فى كتاباتنا ، كانت العصا التى نتوكأ عليها دائماً ، كعصا موسى التى كان يتوكأ عليها و يهش بها على غنمه . و كنا نفتخر به و نستشهد أمام مواطنينا فى بلاد العجم . فنقول هؤلاء أبطالنا . هؤلاء قادة الفتح الاسلامى ، هذا خالد بن الوليد ، وذلك سعد بن أبى وقاص ، وهذا عقبة بن نافع ، وهذا طارق بن زياد . و هذا محمد بن قاسم ، و نقول :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أولئك الذين خرجوا بحفنة من البشر ، بقلة من العدد ، فقراء لازاد عندهم ولا مدد ، و فتحوا هذا العالم الواسع ، ولكن هذه النكبة أفقدت هذا التاريخ الاسلامى الشيئ الكثير من روعته

و جلاله ، و أضعفت ثقة المواطنين فى كل بلد بهـذا التـاريخ ، و أصبحوا يشكون فى صدقـه ، و يقولون (أساطير الأولين) كيف نصدق هذا التـاريخ ، و كيف نصدق أن تلك القـلة غلبت على الكثرة ، و هذا العالم العربى ، و هذه الحكومات العربية كلها زحفت إلى إسرائيل . و رمت بثقلها عليها ، وتحدتها تحديا لم نسمع مثله فى الزمن القـديم ، تحديا أصم الآذان و خلع القلوب ، و لكن ماذا رأينـا ؟ رأينا هـذه الحفنة البشرية ، هؤلاء الشذاذ الأفاقين ، هـذه الشرذمة القليلة التى لفظتها أراضيها و بلادهـا . استولت على هذه الحكومات ، وهنالك تخرس الألسن ، وتنتكس الرقاب ، و يخون الجواب ، إنها خسارة لا تعوض . إنهـا لغزة لا تفض .

ما هو المتوقع والمعقول على إثر هذه النكبة أيها الاخوان !؟ أليس أن نحكم على الحوادث حكماً صحيحاً ، وعلى الرجال والشخصيات التى تحملت مسؤليتها ، و نقرر أن هؤلاء قـد خسروا المعركة ، و أنهم ليسوا جديرين بالقيادة ، بل إنهم كانوا سبب النكبة و أن الطريق الذى اختـاروه طريق عقيم مسدود ، و أن نتبرأ منهم ،

www.abulhasanalinadwi.org

و نحملهم تبعة هذه الهزيمة ، و هذه المأساة ، و أن لا نشعر بميل إليهم ، إن الأمة إذا كان فيها شعور ، إذا كان فيها وعى ، حاسبت هؤلاء القادة حساباً شديداً ، إننى لا أتحدث عن الوعى الايمانى الوعى الذى كان يتصف به صحابة الرسول ﷺ ، التابعون لهم باحسان إنهم كانوا لايخضعون للرجال ، إنهم كانوا دائماً يخضعون للحقائق ، و يحاسبون الخلفاء و الأمراء على تصرفاتهم و أخطائهم ، و يقولون كلمة حق عند سلطان جائر ، ولكننى أتحدث عن الوعى السياسى ، بل الوعى المدنى الذى رأينا مظاهره ، و أمثلته الرائعة فى الشعوب المادية ، التى لا تدين بالاسلام ، إن الانجليز و الفرنسيس لا يغتفرون الذى يجنى عليهم و يلوث كرامتهم ، إن ا لانجليز لم يغتفروا المستر (ايدن) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ، لما أخفق فى معركة السويس ، و ألحق بالانجليز العار ، ماذا فعل ايدن ؟ إنما أخطأ فى التقدير ، و لكن الشعب الانجليزى لم يسامحه و لم يغتفره ، و قال له تفضل و اترك كرسى الحكم ، و اذهب إلى زاوية من التاريخ ، و إلى مؤخر الشعب ، و كذلك توارثت أمم كثيرة ، بغض الرجال

الذين تآمروا عليها ، و امتهنوا كرامتها ، و لوثوا شرفها ، هذه طبيعة فى الانسان ، و هو سر فى رمى الجمرات ، و قد حافظت الشريعة الالهية على هذه الطبيعة ، فما هذا الرمى عند الجمرات إلا إثارة للبغض و الترة التى يجب أن نحملها لعدونا الأكبر ، الذى كان سبب شقائنا ، و الذى حاول مراراً أن يمنع إبراهيم من امتثال أمر الله ، و الذى لا يزال قائماً لنا بالمرصاد .

إن العرب عرفوا فى التاريخ بالغيرة الشديدة ، عرفوا بالنخوة و الاباء ، عرفوا بالحكم العادل على أئمتهم و على أمرائهم ، و على صالحيهم و زهادهم ، لم يهابوهم ، و لم يداهنوا ، و لم يمتنعوا عن عن كلمة الحق ، هؤلاء العرب نرى عدداً من شبابهم اليوم فى بلاد كثيرة ، لا يزالون خاضعين لأولئك القادة الذين ورطوهم فى هذه النكبة ، و يصدق عليهم قول شاعرهم القديم :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنساناً

لقد جربنا أيها الاخوان : أننا لما تجردنا عن الدين ، ولما تنكرنا للاسلام ولما أفلسنا فى الروح الدينية فقدنا كل شئى ،

www.abulhasanalinadwi.org

إننا لم نعد بشئ ، إننا لم نرجع إلا بخفى حنين . هذه التجربة تكفينا و تغنينا عن كل تجربة جديدة ، فلنعد إلى الاسلام .

لنعد إلى الاسلام بشجاعة ، لنعد إلى الاسلام بصراحة و صدق . إن الصدق ينجى و الكذب يهلك . إن الصدق هو الذى ينفع الأفراد و الأمم ، إن النفاق لم يغن عن الأقوام ولا يغنى ، إن كل محاولة قامت فى دور من أدوار التاريخ لصرف هذه الأمة العربية عن منبعها الأصيل ، عن منبعها الذى كانت تستمد منه الايمان و تستمد منه القوة ، و الشرف و الوحدة ، أخفقت وباءت بالفشل الذريع ، سواء كانت محاولة مسيلمة الكذاب ، و محاولة المتنبئين فى هذه الجزيرة . أو كانت محاولة القرامطة فى ناحية من نواحى هذه الجزيرة نفسها ، أو كانت محاولة الباطنيين و الفلاسفة ، أو كانت محاولة القوميين فى العهد الأخير ، بمفهومها العقائدى و فلسفتها القائمة بذاتها . . إن كل محاولة قامت لصرف هذه الأمة العربية عن إيمانها ، و عن قائدها الذى قدر الله أن يكون الامام الخالد ، والنبى الخالد لهذه الأمة ، الذى هو عنوان شرفها ، و رمز قوتها ، و سر انتصارها ، إن كل محاولة بذلت

لصرف هذه الأمة عن قائدها و إمامها ، و عن دينها وعقيدتها ، و عن رسالتها ودعوتها و عن منبعها ومرجعها ، فشلت وستفشل ، لنقرر أنه لا ملجأ من الله و لا منجى إلا إليه ، فان قصتنا هى قصة أولئك المتخلفين ، الذين تخلفوا فى غزوة تبوك ، و قال الله فيهم (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » (١) لقد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، هذا مما لا شك فيه ، سيروا فى الأرض و انظروا كيف أصبحنا أذلاء ، كيف سقطنا فى عيون الناس و ضاقت علينا أنفسنا ، و هذا ما نشعر به وتشهد به قلوبنا ، و قد رأينا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فالطريق مظلم ومسدود ، فلنقرر الحقيقة و لنعترف بالواقع ، ولنقل بصراحة و شجاعة إننا لم نستفد شيئاً من الثورة على الاسلام ، فلنحكم على أنفسنا ، و لنقل لقد أخطأنا و إننا نرجع إلى حظيرة الاسلام و نرجع إلى قوة الاسلام ، التى لا تزال منتظرة لأن تسعفنا ،

(١) سورة التوبة : ١١٩

www.abulhasanalinadwi.org

و تأخذ بيدنا . و أن ترفعنا من هذا الحضيض الذى تردينا فيه .

أيها السادة الكرام ! إنى أشعر بأنى قد قسوت بعض القسوة على إخوانى الذين أحبهم و أجلهم ، والذين قد ربط الله مصيرى بمصيرهم . و الذين جعل الله شرفهم شر فى وهوانهم هوانى ، وقد صرخت بهذه الحقيقة ، و أرسلتها كلمة مدوية فى الهند فى كل مناسبة ، لقد قلت لهم : إن مصير المسلمين فى كل بلد مرتبط بمصير العرب . فاذا عز العرب عز الاسلام والمسلمون . وإذا ذل العرب ذل الاسلام والمسلمون ، أولئك الذين لاأعدل بهم قوماً . و لا أعدل بكتابهم كتاباً . و لا أعدل بلغتهم لغة . و لا أعدل بحضارتهم حضارة . على ذلك أحيى وعلى ذلك أموت ، وما حملنى على هذه الصراحة . أو على هذه المرارة ، إلا الاشتراك ، إلا أنى ألتقى معكم فى كل شئ . إلا أنى آخذ بنصيبى مما أنتم فيه ، فالى الرأية المحمدية أيها العرب . لا إلى الرأية القومية ، و لا إلى أى رأية جاهلية .

لقد أنقذكم الله من هذه الجاهلية ، و أنقذ أمماً وبلاداً بفضلكم أيها العرب . فلا تعودوا إلى هذه الجاهلية . لقد كانت لهذه الأمم

جاهليتهم ، و حضارتهم و شعاراتهم . و أنساب تفتخر بها و آداب وتقاليد تعض عليها بالنواجذ ؛ ولكنكم حملتم إليها رسالة الاسلام ، فأنقذتموها من هذا المستنقع ، فكيف يجوز لكم أن تعودوا إلى جاهليتكم . و أنتم أيها الاخوة العرب . يا أهل مكة . ياسدنة البيت الحرام . بنيتم بيدكم العفيفة النظيفة . الكريمة الشريفة ؛ هذا البيت ليعلو على البيوت كلها . و ليعلو على الأصنام . و يعلو على الهياكل . كيف يجوز لكم أن ترجعوا إلى هذه الهياكل الظالمة المظلمة ؛ الوسخة المتعفنة . من هنا ارتفع الصوت الذى دوى فى الآفاق ؛ و حطم الأصنام . و فك السلاسل و الأغلال . و غير مجرى التاريخ ، وقلب تيار الحوادث ، من هنا انبثق ذلك النور الذى انتشر فى العالم ، وأنقذ الأمم . وأحيا الرمم وأحيا النفوس البشرية . فكيف يجوز لكم أن تعودوا إلى هذه الجاهلية البالية التى أصبحت أوربا تعافها ، و أصبحت الأمم الجاهلية التى عكفت عليها قرونا وأحقاباً تتبرأ منها ، إذا كانت أوروبا قد رفضت هذه القوميات ، و عرفت معرتها . وعرفت جنايتها على الانسانية ، كيف يجوز لكم أن تتناولوا هذه اللقمة التى لفظتها أوربا من فمها ، كيف يجوز

www.abulhasanalinadwi.org

لكم أن تلقتموها . أنتم يا كرام الناس ، يا أولئك الذين كانوا يرفدون القبائل ، و يتصدقون على الفقراء ، العالم كله فى ضيافتكم و على مائدتكم ، فحرام عليكم أن تعيشوا على فتات مائدة غيركم ، على الأطعمة البالية النخرة .

إن موقف كثير من إخواننا العرب فى غير هذه البلاد موقف يحرجنا ، موقف يخرج الدعاة فى الهند و باكستان و بلاد العجم . موقف يحرج أولئك الذين لا يعرفون غير الاسلام ديناً ، و غير القرآن كتاباً ، و غير الشريعة نظاماً و قانوناً ، و غير محمد بن عبد الله إماماً وقائداً . عطفاً عطفاً ، رفقاً رفقاً ، أيها العرب . لا تحرجونا عند مواطنينا ، لا تحرجونا فى بلاد بعيدة عن مهد الاسلام إذا لم تحسنوا إلينا ، فبالله لا تسيؤا إلينا إذا لم تزيدوا فى قوتنا ، فبالله لا تنقصوا من قوتنا ، من حماسنا ، من ثقتنا بالاسلام ، من ثقتنا بنفوسنا المؤمنة ، من ثقتنا بتاريخنا الاسلامى ، من ثقتنا بأنكم أصحاب الفضل فى إسلام هذه الأمم ، التى كانت تتسكع فى الجهالات ، و كانت ترسف فى القيود و الأغلال ، و كانت تتورط فى الأوحال و المستنقعات ، رفقاً ، أيها العرب ،

رفقاً يا قادة مصر ، رفقاً ، ياقادة سوريا ، إرحموا المسلمين ، أولئك الذين يكافحون الشعارات الجاهلية ؛ و يهتفون بالاسلام و يهتفون بالقرآن . إن موقفهم دقيق ؛ أنتم الذين أنشأتم هذه الأجيال المؤمنة . و كانت فى جاهليتها تعبد البقر و تعبد الشجر و الحجر . و لا تزال منها بقية فى آسيا و أفريقيا . تنظر إليكم كفقير بائس و كجائع عطشان و تقول لكم بلسان الحال (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) أفيضوا علينا من مائدة محمد بن عبد الله ﷺ لا تكونوا أقل اعتزازاً به و افتخاراً من الأعاجم ، أنتم أولى به من أولئك الذين لم يتصلوا به بنسب ، و لم يتصلوا به بلغة . و لم يتصلوا به بوطن ، ولم يتصلوا به بدم ، ترون الرجل فى الهند إذا ذكر اسمه ترنحت أعطافه ، و اهتزت مشاعره ، و التهبت جذوته . و تفتحت قريحته ، فأصبح ليثاً مغواراً ، هؤلاء الأتراك لا يزال لهذا الأسم سحر فى نفوسهم ، ليس لكلمة أخرى من أسماء السادة والقادة ، قولوا محمداً وسلوا ماشئتم ، استخدموهم كالعبيد ، استخدمونا نحن الهنود باسم الاسلام ، كيف يأتى الناس يسعون على رؤوسهم ، و على عيونهم إلى هذا البيت من كل فج عميق ،

www.abulhasanalinadwi.org

و لا تزال تلك القوة الكبرى التى لم يعرف العالم فى تاريخه الطويل قوة أكبر منها . فوالله إن أوربا ترتعد فرقاً من هذه القوة . و إنها نامت النومة العميقة الحلوة بعد هذه النكبة .

إنى أرجوكم أن تسامحونى إذا قسوت لكم بعض الشيئ ، فما دفعنى إلى ذلك إلا الاخلاص . إن مثلى ومثلكم كما قال رسول الله ﷺ « المحيا محياكم و الممات مماتكم » فو الله لولا هذه الرابطة الحبيبة الرابطة التى أكرمنا الله بها . لكان لنا تاريخ غير هذا التاريخ ، وكان لنا وضع غير هذا الوضع ، الاسلام هو الذى يربطنا بكم ، و يربطكم بنا ، هذا الاسلام الذى نريد أن نلتق عليه . وأن تتولوا قيادته من جديد .

www.abulhasanalinadwi.org